دور الاعلام في برامج تنمية المجتمع الخليجي

محمد ناصر السنعوسي *

أصبحت وسائل الاعلام في هذا العصر من اكثر الادوات التي يمتلكها الانسان قدرة على التأثير في ثقافة الافراد وتغيير اتجاهاتهم وتهيئتهم لتقبل الافكار التي تحقق أهدافا محددة مخططا لها . وما حدث في الحرب العالمية الثانية يمثل أقوى دليل ، حيث كان الاعلام يلعب دورا أساسيا في بعث الحماس في نفوس الجماهير بعد فتور ، واشاعةروح الهزيمة والتخاذل بعد نصر .

لقد استطاعت أجهزة الاعلام بحق ان تفرض نفسها كأدوات حرب ، لها فاعليتها وقوتها التي توازي اقوى الاسلحة واعتى الجيوش . ولكن .. هل استطاع هذا الدور أن يطغى علىالجانب الخير من النفس البشرية ذلك الجانب الذي يسخر كل امكانية متاحة، وكل طاقة كامنة ، من أجل نمو المجتمعات الانسانية وتقدمها .

لقد شهدت المجتمعات الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية تقدما مضطردا فاق في معدلاته كل التوقعات . واذا كان مشروع « مارشال » يمثل القوة المادية الدافعة لهذا التقدم ، فانالاعلام الذي تفيأ هذا المشروع في ظلاله كان من القوى المعنوية الاساسية التياستمد منها هذا التقدم استمراره وقوة اندفاعه .

كما أدركت المجتمعات المتقدمة قدرة الاعلام ودوره في تحقيق رخائها وتقدمها ، تماما مثلما أدركت قوة مضائهكسلاح حربي مدمر . واستغلت بالفعل هذه الاداة الى ابعد الحدود .. فهل استطاعت الدول المتخلفة أو النامية — بالمقابل — أن تستوعب قيمة الاعلاموقدرته على تضييق الفجوة الهائلة التي تفصل بينها وبين المجتمعات المتقدمة ؟

---

* وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التلفزيون بدولة الكويت ، وقد شغل قبل ذلك منصب مدير التلفزيون الكويتي .

تخرج في الكلية الصناعية — الكويت سنة ١٩٥٨ ثم تلقى بعد ذلك دراسات ودورات متنوعة في فن الاعلام في كل من المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة ، ومحطة تلفزيون (ITV) البريطانية ، وجامعة جنوب كاليفورنيا حيث حصل على البكالوريوس .

قام بعدة اعمال تلفزيونية وسينمائية بارزة في مجال الاخراج والانتاج في كل من الكويت والولايات المتحدة . من ابرز اعماله انتاج فيلم « العاصفة » اول فيلم درامي تجريبي ، والمشاركة في اخراج ومونتاج « عالم قيصر » تقديم سيزر روميرد وفيلم « محمد رسول الله »

قبل أن نسترسل في معالجة هذا الموضوع الذي يرتبط ارتباطا عضويا بهذا البحث سنحدد المفاهيم الاساسية التي سنستخدمها هنا وهي :

« وسائل الاتصال الجماهيرية » Mass Communication

التي تشمل وسائل الاعلام المعاصرة « والمجتمعات المتقدمة » ، « والمجتمعات المتخلفة » أو «النامية».

تعرف وسائل الاتصال ببساطة ، **بانها الوسائل التي تستطيع نقل المعلومات والآراء والاتجاهات من شخص الى آخر ، فالاتصال بهذا المعنى هو الميكانيزم الذي تستطيع العلاقات الانسانية — من خلاله — أن تنشأ وتنمو وتترعرع .**

على أن وسائل الاتصال تختلف فيما بينها من حيث قدرتها على نقل المعلومات والافكار ، وايصالها للافراد . فاذا وصفنا وسيلة اتصال ما بأنها جماهيرية ، فهذا يعني أنها قادرة على ايصال المعلومات والافكار والاتجاهات الى اكبر عدد من الافراد دون أن تتطلب منهم بذل مجهود كبير ، أو تشكل بالنسبة لهم عبئا ماديا ، وعلى هذا فان وسائل الاعلام المعاصرة بعامة، والاذاعة المسموعة ، وكذلك المرئية والصحافة بخاصة هي من اكثر وسائل الاتصال الجماهيرية قدرة على ايصال المعلومات والافكار الى الناس ، وابعدها اثرا في النفوس دون جهد أو عبء مادي يثقل كاهلهم . وللقارىء أن يتخيل كم من الوقت والجهد والمال ، نحتاجه في نقل أفكار يتضمنها برنامج يبث من التلفزيون مثلا الى أفراد المجتمع — بمختلف فئاته — عن طريق وسائل الاتصال المباشرة بين فرد وآخر .

لننتقل بعد هذا الى معرفة معايير التقدم ومظاهر التخلف في المجتمعات المعاصرة ، حتى نتبين ما ينبغي على المجتمعات في الخليج العربي أن تفعله باعتبارها من الدول النامية لكي يتحقق لها حظ أوفر من التقدم ومن ثم نتعرف على الدور الذي تستطيع أجهزة الاعلام بخاصة ، ووسائل الاتصال بعامة ان تقوم به في هذا المضمار .

يرجع البعض التقدم الى عامل واحد ، مثل تحسن الرعاية الصحية وزيادة متوسط الاعمار أو توفر الرخاء الاقتصادي أو سيادة القيم الاخلاقية والمعايير الاجتماعية التي تنظم علاقات الافراد، والحقيقة أن تحقيق رفاه المجتمع وتقدمه لا يكون الا بتحقيق هذه العوامل مجتمعة . غير أن ضمان استمرار تقدم المجتمع والمحافظة على مظاهر تقدمه يتطلب تأصل القوى الدائمة لهذا التقدم — كمقومات أساسية في بناء المجتمع — وتحولها الى تراث متأصل يلازم المجتمع عبر الزمن ، وبدون هذا التأصل فان التقدم الذي تحققه المجتمعات في فترة ما من تاريخها سيزول لا محالة بزوال الاسباب التي أوجدته .

لقد استطاعت منطقة الخليج العربي أن تستغل ما وفرته لها الطبيعة من ثروات طائلة في تحقيق الكثير من الخدمات التي يعتبرها البعض معايير للتقدم . غير أن هذه الخدمات وكذلك المنجزات العمرانية والصناعية الاخرى

لا يمكن أن تؤمن لها في المستقبل البعيد الاستمرار في النمو والتقدم اذا ما تضاءل عطاء النفط أو زال ، ذلك أنها لا تمثل قوة دافعة متأصلة في المجتمع تتصف بالاستمرار، فما هو البديل الذي يضمن لهذه المنطقة المحافظة على منجزاتها التي حققتها والتي سوف تحققها في هذه الفترة من تاريخها ؟ وكيف السبيل الى معرفة هذا البديل وخلقه وضمان استمراره ؟

في رأيي — أن التخطيط العلمي هو خير ضمان لايجاد هذا البديل . وهدف هذا التخطيط ينبغي ان يتوجه نحو بناء الانسان بالدرجة الاولى ، ومن ثم بناء المجتمع ومؤسساته وانسانه على قاعدة قوية تضمن سيادة قيمه الروحية الاصيلة ، وبنائه المادي الصلب القائم على اساس متين . وهنا تكمن أهمية أجهزة الاعلام والدور الخطير الذي يستطيع القيام به في تحقيق أهداف التخطيط وتنفيذ سياساته .

ولعل من المناسب أن أشير هنا الى الزاوية التي تناولت منها هذا الموضوع . فقطاع الشباب هو جزء من البناء البشري للمجتمع، بل هو العصب الرئيس فيه . لذلك فقد فضلت ان اعرض المقومات في تنمية هذا القطاع ودور الاعلام فيه من خلال تناولي لتنمية قطاعات المجتمع ككل متكامل ، ولهذا سأعالج دور الاعلام في تنمية المجتمع الخليجي بكل جوانبه مع التركيز على قطاع الشباب .

ان هناك حقيقة هامة لا يمكن تجاهلها ، وهي أن قطاع الشباب في أي مجتمع يعتبر القوة الرئيسة والطاقة المحركة لامكانات المجتمع نحو تحقيق آماله في التقدم ، اذا ما أحسن توجيهه واستغلت قدراته لصالح البناء والارتقاء بجانبيه المادي والمعنوي . فكل حركة او انتفاضة تقوم في مجتمعات اليوم مهما كانت أهدافها وأيا كان اتجاهها ، تنظر الى الشباب نظرة خاصة فاحصة ، تستطلع من خلالها مواقفهم ، الايجابية منها والسلبية ، وتحرص أشد الحرص على تجنب الصدام معهم .

وما دام الامر كذلك فان على المؤسسات القيادية في المجتمع بما تملك من وسائل وامكانات أن توجه اهتمامها الاول لبناء الانسان الشاب القادر على العطاء وتحمل المسئولية ازاء نفسه ومجتمعه .

ان انسان الخليج العربي ، حتى ما قبل عشرين عاما ، قد عانى الكثير من الاحباط في تحقيق طموحاته والارتقاء بمستوى معيشته ، شأنه في ذلك شأن انسان المجتمعات النامية . فالامكانات الطبيعية كانت أقسى من أن تمكن هذا الانسان من توفير الحد الادنى من متطلبات الحياة، والسياسات الاستعمارية لم تكن تنظر اليه أكثر من رقم في عداد البشر الذين ما وجدوا — في نظرها — الا لتحقيق مآربها وأطماعها .

غير أن الله سبحانه وتعالى قد عوض صبر هذا الانسان وأثاب كفاحه من اجل الاستمرار والبقاء بعطاء من ثروات الطبيعة ، لم توفر له فقط مستوى حياة مرتفع ، وانما منحته طاقة يستطيع من خلالها اذا ما أحسن استخدامها أن يبني مجتمعا متقدما قوامه الانسان المنتج الواعي لواجباته والمدرك لمسئولياته والمطالب بحقوقه .

ان امكانات هذه المجتمعات المادية تمكنها بلا شك من توفير كل وسائل الرفاه المادية والخدمات العامة لافرادها . وما نشاهده من نمو في هذا الميدان ليس تقدما سريعا فحسب وانما طفرة قلما نجدها في اي مجتمع آخر . غير ان هذا النمو الهائل في الجانب المادي من مقومات حياتنا لا يمكن ان يضمن لنا الاستمرار على المدى البعيد وبخاصة عندما يأخذ عطاء النفط في التضاؤل ، اذا لم تكن هناك سياسات تعمل على انماء الجانب المعنوي من بناء الانسان نفسه بجانب بنائه المادي والذي سيمكنه بلا شك من ايجاد بدائل اقتصادية تكفل له الاستمرار والتقدم. وهنا تكمن ضرورة تجنيد هذه المجتمعات لكل الوسائل المتاحة وبخاصة الاعلامية منها ،

وفي راينا ان مساهمة اجهزة الاعلام في تحقيق هذا الهدف يمكن ان تسير في اتجاهات ثلاثة متوازية هي : ـ

اولا : ترسيخ القيم الاخلاقية والاعراف الاجتماعية التي تحفظ للمجتمع تماسكه وتمكنه في الوقت نفسه من تطويع المنجزات الثقافية والحضارية لصالحه .

ثانيا : المساهمة في التربية والتعليم باعتبارها وسيلة اساسية في استثمار العنصر البشري وبخاصة الشباب .

ثالثا : دعم خطط التنمية التي تعتمدها مجتمعات الخليج من أجل تحقيق نموها وبناء مجتمعاتها .

وسنتناول هذه الادوار بشيء من التفصيل : ـ

اولا : دور الاعلام في ترسيخ القيم في نفوس الشباب :

لم يعد انسان اليوم اسير بيئة اجتماعية محدودة تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع المحلي ، بل اصبح يعيش في خضم من التيارات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية المتنوعة في مصادرها ، والمتباينة في اهدافها وقيمها واتجاهاتها . فكل ما يفرزه هذا العالم من تيارات ايجابية او سلبية ، تتفق مع مفاهيم شبابنا او لا تتفق ، اصبحت في متناول يده ، وذلك بفضل وسائل الاتصال الحديثة ، التي استطاعت ان تجعل من الفرد في اي بقعة من هذا العالم عضوا مشاركا في تقييم كل التيارات التي تتصارع امامه ، وتمثل ما يستسيغه منها . ولعل الشباب هم اكثر فئات المجتمع تأثرا بذلك ، وهنا يكمن دور الاعلام في توجيه الشباب ومساعدته على تخطي مرحلة الصراع النفسي التي يعيشها نتيجة تباين القيم والافكار التي يراها من حوله. وللقارىء ان يتصور نوع الضياع الذي يعيشه بعض شباب هذا العصر والمتمثل في انواع السلوك واتجاهات التفكير الخارجة عن كل عرف وتقليد . فالتقدم المادي الذي حققته المجتمعات الاوروبية وأمريكا لم يستطع ان يوفر للانسان العربي الاستقرار الاجتماعي والنفسي الذي يبحث سعادته ورضائه . وسبب ذلك قد يعود الى حاجة الانسان الى قيم أخلاقية يلجأ اليها للتخلص من الطابع المادي الذي يفقد الانسان انسانيته ويجعله في عداد الاشياء الجامدة . فاذا كان هذا هو حال المجتمعات المتقدمة ، فعلينا نحن في مجتمعات الخليج ان نفيد من هذه التجربة

في بناء الانسان وان نقيم التراث الحضاري الغربي ، ونميز بين ما هو صالح لمجتمعاتنا ، فنطوعه لمصلحتنا ، وبين ما هو طالح فنتجنبه .

ليس هناك خلاف على ان الحضارة الغربية تتمتع ببريق يشد اكثر الناس تمسكا بالقديم ، وذلك لما حققته من انجازات علمية وتكنولوجية هائلة . وليس هناك خلاف على ان شبابنا لا بد ان يقع بصورة او باخرى تحت تاثير هذا البريق، وما يترتب على ذلك من تمثلهم لهذه الحضارة كثقافة او منهج حياة ، اضف الى ذلك ان التقدم المادي في مجتمعاتنا ،باعتبارها مجتمعات نامية ، يستمد مقوماته من هذه الحضارة ، فكيف نستطيع — والحالة هذه — ان نحمي مجتمعاتنا وشبابنا من الانزلاق في الجوانب المتردية من هذه الحضارة . ان عمل المؤسسات الاجتماعية المتخصصة في التربية والتعليم كالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها توجه جهودها في الاساس نحو اعمال محددة ، اما ضبط الاتجاهات التي تتدخل في تكوين شخصية الافراد فتظل عرضة لتاثير مختلف التيارات وبخاصة الوافدة منها ، وتاثير هذه المؤسسات على هذه الاتجاهات يظل محدودا . كذلك فان مجتمعات الخليج تعيش مرحلة تغير سريع كما ذكرنا ، وهذا معناه ظهور صراع عنيف بين القديم والجديد ، متمثل في صراع القيم والعادات والتقاليد . والشباب هم اكثر فئات المجتمع استعدادا للتغيير ، وطبيعة بناء مجتمعاتنا تمنح الآباء والمسنين حق توجيه الابناء وتمثلهم للقيم الاخلاقية وانماط السلوك الاجتماعي ، والآباء بعامة والمسنون بخاصة يحكمهم الميل للمحافظة على التقاليد والعادات ورفض ما هو جديد . والنتيجة هي ان يجد الشباب نفسه في تيارات متصارعة تتجاذبه ، فهو راغب في التغيير ، ولكن ما حدود هذا التغيير ؟ ومن الذي سيعين له هذه الحدود ؟ هل هم الآباء؟ هؤلاء ليسوا مستعدين للذهاب في هذا الاتجاه بالقدر الذي يقتنع به الشباب . هل المدارس والمعاهد والجامعات قادرة على ذلك ؟ هذه توجه جهودها اساسا نحو تحقيق هدف محدد. اذن ما هي الوسيلة الاكثر فعالية للقيام بهذه المهمة ؟

في اعتقادنا ان اجهزة الاعلام هي من الوسائل الهامة القادرة على تحقيق ذلك . تستطيع هذه الاجهزة ان تلعب دورا بناء في تخفيف حدة الصراع بين القديم والجديد . تستطيع ان توضح للمحافظين على القديم منافع التغيير ، كما تستطيع ان توضح للشباب حدود التغيير النافع وضرورة المحافظة على القديم القادر على دفع المجتمع نحو التقدم . تستطيع ان تبين للشباب والمسنين ان التغيير ليس هدفا في ذاته وانما هو وسيلة لتقدم المجتمع ونموه ، تستطيع ان تبين للمسنين ان كل تغيير ليس تخلفا او نكوصا ، كما تستطيع ان تبين للشباب ان كل تغيير ليس تقدما .

وعلى هذا الاساس ينبغي الا ينظر الى اجهزة الاعلام على انها ادوات توفيقية تحاول ان توفق بين اتجاهين متعارضين . ففلسفة هذه الاجهزة ينبغي ان تقوم على اساس التسليم بحقيقة ان التغيير هو سنة الحياة . فلا يمكن لمجتمع ثابت جامد ان يتقدم وينمو .ولهذا فان على هذه الاجهزة ان تتصف بقدر من الحصافة والحكمة في معالجة الامور ،واذا كانت في ادائها لمهامها تحاول تضييق الفجوة الحضارية نتيجة الصراع بين القديم والحديث ، فلا ينبغي ان يكون ذلك على حساب نمو المجتمع وتقدمه.

على أن هذا الدور الذي نرسمه لاجهزة الاعلام لا يدفع بهذه الاجهزة في منأى عن الصراع نفسه . فقد اجري العديد من البحوث في الدول النامية بعامة وبالكويت بخاصة حـــول بعض أجهزة الاعلام، واثبتت جميعها أن هذه الوسائل تتعرض للنقد من كلا الجانبين ، كما انها موضع شد وجذب بين اولئك وهـــؤلاء. بل ان بعض هذه الوسائل وبخاصـــــة التلفزيون ، يجد نفسه في كثير من الاحيان موضع الاتهام ، وانه طرف اساسي في هذا الصراع وهذا يثبت بالقطع تأثير هذه الوسائل في تغيير اتجاهات التفكير في المجتمعات ، الامر الـــــذي يتطلب من القائمين على هذه الاجهزة أن يكونوا على قدر كبير من الوعي باوضاع المجتمـــــع والقدرة على معالجة متطلبات التغيير بحكمة وتبصر وروية .

ومهما كانت طبيعة الدور الذي تلعبه اجهزة الاعلام في تخفيف وطأة هذا الصراع عند الشباب ، فان هناك خطا اساسيا ينبغي أن تلتزم به هذه الاجهزة في عملها ، ويتمثل في الدعوة المستمـــرة للمحافظة على القيم الروحية التي تكرس لدى الانسان انسانيته ، وتنمي فيه حب الغير وانكار الذات وتكـــــرس الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع ومؤسساته بعامة ، والروابـــــط الاسرية بصـــورة خاصة .

ثانيـــا : **مساهمة اجهزة الاعلام في تربية الشباب وتعليمهم :**

قد يكون من المفاهيم البسيطة الدارجة لوظيفة اجهزة الاعلام ، انها وسائل دعائية تخدم سياسات الدولة ، وتكرس وجودها داخليا وخارجيا . وبدون أن ندخل في متاهات البحـــــث عن أسباب انتشار هذا الفهم ومبرراته ، نستطيـــع القول أن واقع دور الاعلام خلال الثلاثين سنة الماضية يتعدى ذلـــــك الى آفاق واسعة ، شملت كل مقومات بناء الدولة السياسية منها والاجتماعية والثقافيـــة والاقتصادية والايديولوجية .

والذي يهمنا من هذه النقطة بالذات هو دور الاعـــــلام في برامج الدولة الانمائيـــــة في مجـــال تربية الشبـــاب وتعليمهم . حقيقة أن هناك مؤسسات في المجتمع تتولى التخطيط لهذا النوع من الخدمات كالمدارس والجامعات والمعاهد الفنية وغير الفنيـــــة ، غير أن الدور المرسوم لهذه المؤسسات يظل محدودا في اطار ايصال العلم والمعرفة للناشئين والشباب من أفراد المجتمـــــع حسب الخطط المرسومة . أمـــــا دور هذه المؤسسات فيما يمكن أن نسميه بالتثقيف العام وتكوين الاتجاهـــــات فهو ايضا محدود على الرغم من المحاولات المخلصة التي يبذلها رجال التعليم لتحقيق ذلك .

ولعل وسائل الاعلام هي من أهم الوسائل التي يمكن أن تدعم جهود رجال التعليم او التربية في مهمتهم . ولنأخـــذ التلفزيون مثلا يوضح ما نذهب اليه .

فهذا الجهاز يتمتع بامكانات فائقة يستطيع رجال الاعلام ورجال التعليم، بتعاونهم في استخدامها ، الوصول الى نتائج تعليمية وتربوية محققة ، فهـــو يتمتع بخاصة الجمع بين عنصري الصورة والصوت التي توفر استخدام وسائل الايضاح والتشويق والترغيب والاقناع الى حد بعيد . كذلك يتمتع هذا الجهاز، ولا سيما في اقطـــار الخليج العربي ، بخاصة الانتشار التي تتيح الفرصة لاكبر

عدد من المشاهدين للافادة من برامجه ، كما ان ظـــروف مشاهـــدة البرامـــج التعليمية من خلال التليفزيون هي بلا شك اكثر مناسبة من الظروف التي يتواجد فيها الفرد في مدرسة أو جامعة او معهد، لانها قائمة على حريـــة الاختيـــار في المشاهدة .

فاذا ما استطعنا استغلال هذه العناصر في تربية وتعليم شبابنا الاستغلال الصحيح فسنستطيع — بلا شك — أن نحقق هدف مجتمعاتنا في تربية وتعليـــم شبابنا .

وينبغي ، كما ذكرت سابقا ، أن تشمل برامج التربية والتعليم عن طريق اجهزة الاعلام قطاعات المجتمع كافة ، لان مرحلة الشباب في عمر الانسان هي امتداد لمرحلة الطفولة وهي في الوقـــت نفسه بدء لمرحلة الرجولة فالشيخوخة . هكذا قطاع الشباب بالنسبة للمجتمع .

وما دام الامر كذلك ، فان دور الاعلام في ميدان التعليم ينبغي الا يقتصر على الشباب فقط وانما ينبغي أن يتعدى ذلك ليشمل كافة فئات المجتمع الاخرى. ومن هنا يجـــوز القول بأن البرامـــج التعليمية يمكن أن تكون على مستويـــين اثنين : —

الاول : البرامج التعليمية الخاصة بقطاع الطلبة

والثاني : البرامج الخاصة بمحو الاميـــة .

ولعل هنا من لا زال يصر على معرفة العلاقة بين محو الاميـــة وموضوع بحثنا . وهنا اجيب ايضا ببساطة ، ان تقارب المستوى الثقافي والعلمي بين الجيل القديم والجيل الجديد يمكن ان يلعـــب دورا ما في تضييـــق الهوة بين هذين الجيلين ، والتخفيف من حـــدة الصراع القائم بينهما ، فضلا عن أن هناك الكثير من الشباب اميون او لم يستطيعـــوا ، لسبب أو لآخر ، متابعة تعليمهم . غير ان دور التلفزيون لا يقتصـــر على هذا الجانب من التعليم وانما يشمل ايضا البرامج التي يطلـــق عليهـــا البرامج التربوية او الثقافية .

ولعلي لا اتجاوز حدود المنطق اذا قلت بأن هذا النوع من البرامج ينبغي ان يكون العمل الاساس لجهاز التلفزيون بخاصة ولاجهزة الاعلام الاخرى بعامة في مجال التربية والتثقيف ، ذلك انهـــا تتيح لقطاعات المجتمع المعرفة بالاتجاهات العامة في المجتمع من ناحية ، كما تتيح له الالمام الكافي بمختلف مناحي الحيـــاة بجانبيها المادي والمعنوي .

ان دور التلفزيون دون وجود هذا النوع من البرامج سيكـــون بلا مغالاة ناقصا ، كما أن انشاء قمر صناعي يكلف المائة مليون دولار أو اكـــثر لا يمكن أن يقتصر استخدامه على نقـــل اغنية أو برنامج فكاهي او ما شابـــه ذلك دون أن يستخدم في برامج من شأنها أن تساهم في البناء والتنمية .

ثالثـــا : دور اجهزة الاعلام في التنمية :

من الدارج في هذا العصر تقسيم المجتمعات الى نوعين :

الاول : يوصف بالمجتمعات المتقدمة .

والآخر : بالمجتمعات النامية .

ويكاد يتفق تماما على أن التقدم التكنولوجي وانتشار المخترعات في المجتمع وتمثل الافراد لها يعتبر معيارا للتقدم المادي فيه . غير أن هناك جانبا آخر من مقومات المجتمع لا بد أن يؤخذ في الحسبان، ونعني به الجانب المعنوي الذي يتمثل في القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع ، فهذه لا بد من أن تتكيف مع التقدم العلمي والتكنولوجي الى حد يضمن عدم وقوفها أمام استمرار هذا التقدم .

وما دامت هناك فجوة هائلة وتتزايد باستمرار بين مجتمعاتنا والمجتمعات المتقدمة في الجانب المادي من مظاهر حياتنا ، اذن فلا بد من وجود برامج تنمية مدروسة تحاول أن تضيق من هذه الفجوة وتحد من اتساعها .

ولكن اذا اخذت مجتمعات الخليج بأسباب التقدم المادي التي انتهجتها المجتمعات الغربية في نموها ، فهل يلزم بالضرورة أن تسير مظاهر حياتنا المعنوية بالطريق نفسه الذي سارت فيه تلك المجتمعات ، وتصل الى النتيجة نفسها التي وصلت اليها ؟

ان منجزات الحضارة الغربية كما ذكرنا تتمتع ببريق أخاذ يسلب عقول الدول المتخلفة الى درجة تدفعها للتهافت على هذه الحضارة وتمثل منجزاتها بشقيها المادي والمعنوي . ومجتمعات الخليج شأنها شأن الدول النامية لا بد أن تتوجه بأبصارها نحو هذا النبع الذي يمكن أن يحقق تقدمها المادي ، غير أن هذا التوجه ينبغي الا يسوقها في الاخطاء نفسها التي وقعت فيها هذه الحضارة ونعني بها الاغراق في المادية على حساب القوى المعنوية وبخاصة الروحية منها .

وهنا تكمن أهمية وسائل الاعلام، اذ باستطاعتها أن تلعب دورين متوازيين في آن واحد .

الاول : المساهمة في انجاح برامج التنمية عن طريق نشر الوعي التخطيطي بين أفراد المجتمع

الثاني : التأكيد على الجانب الروحي من قيمنا وبخاصة تلك التي تنمي في الانسان انسانيته وتغلب فيه حب الغير على حب الذات ، وتغرس في نفسه تعاليم عقيدته السماوية التي هي منبع قيمه الروحية ، وقواعد حياته العملية .

والحقيقة أن دور الاعلام لا ينحصر فقط في توعية المواطنين ببرامج التنمية التي تضعها الدولة ، وانما هو يساهم بالفعل في بعض هذه البرامج ولا سيما ما يتعلق منها بالجانب التثقيفي والتعليمي الذي سبق أن ذكرناه . فالمشكلة التي ستواجهها المجتمعات وبخاصة ذات الكثافة السكانية العالية، آجلا أم عاجلا، هي النقص في امكاناتها المادية والبشرية اللازمة لتنفيذ برامجها التعليمية أو التثقيفية . حقيقة أن مجتمعات الخليج لا يتوقع لها في المستقبل المنظور على الاقل أن تواجه مثل هذه المشكلات وبصورة جادة ، نظرا لانخفاض الكثافة السكانية

بها من ناحية ، ووفرة امكاناتها المادية التي تمكنها من استثمار الطاقات الاجنبية في تنفيذ برامجها من ناحية اخرى ، غير أن هذا لا يمنعنا من التحسب لمثل هذه الأمور ، ولا سيما وأن هنـــاك ما يبرر تشاؤم البعض من أننا لسنا في منأى عن مثل هذه المشاكل . وحتى اذا ما تجاوزنا التشاؤم ومبرراته ، فالواقع أننا في حاجة ماسة الى برامج تعليمية وتثقيفية وبخاصة ما يتعلق ببرامـــج محو الامية وكذلك البرامج الاثرائية .

وعلى أية حال فان انجاح خطط التنمية يعتبر الاساس في تحقيـــق نمو المجتمع وتقدمه ، الذي سيشمل ضمن ما يشمل استثمار قطـــاع الشباب وقدراتهم الانتاجية استثمارا صحيحا . وللاعلام في نظـــري دوره الاساسي في انجاح هذه البرامج .

هذه هي الميادين الاساسية التي يستطيع الاعلام أن يساهم من خلالها في بناء مجتمعات الخليج .

ولنتناول الان منجزات اجهزة الاعلام في الكويت والخليج العربي فـــرادى ، والمشكلات التي تواجهها في أداء مهماتها ثم نحاول بعد ذلك تقييم هذه المنجزات في اطار من العمومية والشمولية .

اولا : الصحافـــة :

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها هي أن صحافة الكويت تمثـــل النبع الذي تستمد منه صحافة الخليج قيمها وتحدد أهدافها وترسم خطى مسيرتها ، وقـــد استحوذت على هـــذه المكانة كنتيجة منطقية للجو الديمقراطي الذي ظلل وما زال يظلل الكويت . ذلك الجو الذي يفرز بلا شك اقلاما قوية تتمتع بحرية الرأي والتعبير .

فاذا حاولنا أن نحدد دورها خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة سنجد أن اهم منجزاتها تتمثل في :

١ ــ مساهماتها الفعالة في تكريس الحياة الديمقراطية بالكويت .

٢ ــ دورها الاساس في غرس المواطنة في نفوس المواطنين وتكريس الشعور بالانتماء الوطني والقومي .

٣ ــ انجازاتها في نشر الوعي السياسي والثقافي والحضـــاري والاجتماعي بين المواطنين .

٤ ــ تشجيعها للكتاب والفنانين والادباء والمثقفين للاستمـــرار في العطـــاء ، وتحسين جودته عن طريق نشر انتاجهم .

٥ ــ التعبير عن آراء المواطنين في الموضوعات التي تهمهم .

ولقد كانت هذه الانجازات وغيرها مدعاة لصحافة الخليج ورواداها ليحذوا حذوها أحيانا ، وليتخذوا منها احيانـــا اخرى منبرا يستطيعون من خلالـــه مباشرة التعبير عن آمالهم وطموحاتهم في الاخذ بيد مجتمعاتهم نحو حياة أفضل .

وكما يحدث في اي مجتمع نام ، لابد للصحافة كأداة اعلامية اساسية من أن تجد طريقها وتأخذ دورها في بنـاء مجتمعها . وحتى يتحقق لها ماتريد لا بد أن تواجه بالتيار المحافظ الـذي يرفض عادة التغيير ، الامر الذي يحد بطبيعة الحال من اندفاعتها الاولى ، ويقف عقبة ينبغي بذل جهود مضنية لتخطيها . ولقد واجهت صحافة الخليج هذا المأزق ومازالت تواجهه . وهذا ما دفع المواطنين في هذه الاقطار الى الاقبال على الصحافة الكويتية كمتنفس يستطيعون من خلاله أن يعيشوا آمالهم وطموحاتهم في النمو والتقدم . فالصحافة الخليجية بصورتها الراهنة ليست متقدمة نسبيا ، وليست متحررة من السيطرة الرسمية المباشرة أو غير المباشرة ، كذلك فأن الشروط اللازمـة لنموها واتساع نشاطها تتطلب شروطا معينة لا بد أن يتوفر الحد الادنى منها . فالجو الديمقراطي وحرية التعبير ، ووجود الصحفي الواعـي الذي يدرك مشاعر الناس وآمالهـم وطموحاتهم ومشاكلهم ، كل هذه الامور هي مـن العناصر الاساسية التي يتطلبها نجاح العمل الصحفي ، وهذا ما تفتقر اليـه الصحافة الخليجية الاخرى بصفة عامة. وحتى الصحافة الكويتية التي يصنفهـا بعض المتخصصين في المرتبة الثانية بين الصحافة العربية ، تفتقر نسبيا الـى الصحفي المحلي الذي يتمتـع بجميع خصائص وصفات الصحفي الناجح ، كذلك فان نسبة كبيرة من العاملـين بالصحافة هم من غير ابناء الكويت . وأيا كانت قدرة هؤلاء على العمـل الصحفي الناجح ، فانهـم بلا شك لايستطيعون تمثل الدوافع الاساسية التي تدفع بالشباب الكويتي نحـو تناول موضوع معين يخصه هو نفسه .

وعلى أية حال ، فأن هذا الوضع الذي تعيشه صحافة اقطار الخليج من ناحية ، والجو الديمقراطي الذي تعيشه صحافة الكويت من ناحية اخرى ، قـد دفع بشباب تلك الاقطار للاقبال علـى الصحافة الكويتية ، ولعـل تناول هذه الصحافة لكثير من الموضوعات التي تهم تلك الاقطار كان عاملا اساسيا في اقبالهم هذا . فما من جريدة او مجلة كويتيـة تخلو في عدد من اعدادهـا من معالجة قضايا تهم هذه الاقطار .

ولعل ما يزيد من اهمية دور الصحافة الكويتيـة هـو أن عددا من اقطار الخليج التي سمحـت بدخول الصحف الكويتية اليها لسبب او لآخر، تحاول الآن بصورة أو بأخرى التخلص منها رغـم ادراكها بأن هذا الامر غير ميسور، نظرا لانها تعبر عن طموحات وآمال الشباب الخليجي بصفة عامة ، ولان هذا الشباب أصبح أكثر تقبلا للتغيير الذي يحقـق لمجتمعه النمو والتقدم . ولعل افضـل تعبير عن ذلك يتمثل في اقبال الكثيرين من ابناء الخليج أنفسهم علـى الكتابة في الصحافة الكويتية والتعبير عن آرائهم وآمالهم .

ومن الطبيعي أن تواجه الكويت في هذا الوضع الكثير من الاحراج وبخاصة على المستوى الرسمي ، ذلك ان ما يكتب في صحافتها لا يخضع للرقابة المسبقة ، غير أن هذا الامر ينبغي أن لا يؤثر على مسيرة الصحافة الكويتية ودورها الرائد في منطقة الخليج العربي .

وما دمنا نعطي صحافتنا هذه المكانة التي ما وصلت اليها في حقيقة الامر الا عن جدارة ، فلا بد أيضا من أن نضع أيدينا على مواطن القصور والضعف .

وفي رايي ان مواطن الضعف في صحافتنا تكمن في ان الكثير من الصحفيين عندما يتناولون موضوعات معينة ،يدلون بآراء واحكام تبدو وكانها قاطعة لا رجعة فيها ، في حين ان بعضهم لا يستكمل الحد الادنى من العناصر التي تؤهلهم لاصدار مثل هذه الاراء والاحكام التقويمية ، وهذا بطبيعة الحال يضعف من مركز الصحفي نفسه وكذلك مركز صحيفته، كما يؤثر على الثقة التي يوليها المواطن للصحافة والتي تعتبر الشرط الاساس في نجاحها . ولسنا هنا في معرض التدليل على صحة هذا الراي .

ثانيا : التلفزيون والاذاعة :

ان جهازي الاذاعة والتلفزيون قد حققا تقدما ملموسا في عملهما ولعل خير شاهد على ذلك المكانة التي حصلا عليها في اجتماع اتحاد الاذاعات العربية في الدوحة بقطر ، حيث فاز كل من الاذاعة والتلفزيون بالمرتبة الاولى على جميع برامج الدول العربية .

وسوف أتحدث هنا عن دور التلفزيون بالذات لانه مجال تخصصي وعملي : ـ

يستطيع التلفزيون كما ذكرت ان يساهم في عمليات بناء المجتمع عن طريق استغلال قدرته في التعبير والاقناع وايصال المعلومات والتوجيه . وقد ذكرت ان اهم ادواره تتمثل في التقليل من حدة الصراع بين الجيل المحافظ وجيل الشباب . واوضحت كذلك ان اهم ماينبغي على التلفزيون عمله في هذه النقطة بالذات هو المحافظة على القيم الروحية التي تكرس في الانسان انسانيته وتدفع عنه الانانية وتحيطه بسعادة الشعور بالعواطف.وقد يبرز هنا سؤال يعتبر من اصعب ما يوجه الى المسئولين في التليفزيون وهو : كيف يستقيم هذا القول مع ما يقدمه التلفزيون من برامج تحمل قيما تتعارض تماما مع قيمنا وعاداتنا ؟

وانني اقر مع الكثيرين بأن تليفزيون الكويت لم يقم بهذا الدور كاملا . ولنبحث معا عن اسباب هذا القصور النسبي ونحاول ان نصل الى مؤشرات موضوعية قد تنير لنا تقييم ما هو واقع وما ينبغي ان يكون .

ان واقع التليفزيون يدلنا بوضوح على ان قطاع الشباب بصورة مباشرة وغير مباشرة يتمتع بنصيب وافر من برامج التليفزيون ،فالبرامج الثقافية والاجتماعية وبعض البرامج الخاصة تخاطب اصلا قطاع الشباب . كذلك فان البرامج الرياضية هي اصلا موجهة للشباب . غير ان هذه البرامج بكمها ونوعها لا تعبر عن الدور الذي نأمله من التليفزيون ، والاسباب التي تمنع من قيامه بذلك الدور في رايي تتلخص فيما يلي :

١ ـ ندرة الكفاءات الفنية في مجال البرامج .

٢ ـ عدم وجود الادارة المتفهمة لطبيعة العمل التليفزيوني ، ذلك ان هذه الادارة تتطلب مواصفات خاصة اهمها ان تكون طيعة ومرنة بحيث تتوافق مع طبيعة العمل التليفزيوني . فمشكلات التخطيط البرامجي والتنظيم والتنسيق واصدار اوامر العمل والتنفيذ ومتابعته وتقييمه ، تتطلب كفاءات ادارية ليس من

السهل توافرها دون اعداد شاق للقائمين عليها . وحتى استقدام عناصر عربية لهذا الغرض لا يحل المشكلة، لان البلدان العربية ليست — في رأيي — قادرة هي الاخرى على حل مثل هذه المشكلات فعناصرها دربت اصلا بأساليب متخلفة بغض النظر عن تفوقها النسبي على اقرانها في الكويت ومنطقة الخليج .

وفي نظري أن تليفزيون الكويت او غيره لا يستطيع ان يفعل الشيء الكثير اذا لم يستطع التغلب على هذه المشكلات . فاذا كان تليفزيون الكويت رغم تقدمه النسبي في برامجه يواجه صعابا في تحقيق مهامه ازاء الشباب والمجتمع، فكيف الحال بالنسبة لمحطات التليفزيون في الخليج العربي ؟

ومع هذا اكاد اناقض نفسي عندما اقول بأن علينا في منطقة الخليج ونحن نبني مستقبلنا ، ان نتيح لاكبر عدد من شبابنا فرصة العمل في اجهزة الاعلام وبخاصة التلفزيون والاذاعة والصحافة، هذا على الرغم من مخاطر تدني مستوى كفاءاتهم الانتاجية . ذلك اننا اذا رفضنا ان يتدرب ابناؤنا في اجهزتنا ويمارسوا تجربة الخطأ والصواب فيها، فأين يسمح لهم بممارسة ذلك ؟ وبالمقابل فان على المواطن الذي يستقبل عطاء هذه الاجهزة ان لا يقسو على نوعية هذا العطاء اذا لم يتجاوز الحدود المعقولة .

غير ان هذا لا يعفينا من العمل المخطط والدائب على ايفاد الشباب في بعثات متنوعة التخصص ، وان يتم اختيارهم على اسس ثابتة اظهرها اقبال المبعوث على العمل الاعلامي ، وقدرته على الخلق والابداع ، وتمتعه بقدر كاف من الثقافة العامة والقدرة على تحسس ظروف المجتمع والوعي بمشاكله .

ثالثا : المسرح :

ان المسرح هو المرآة التي تعكس صورة واضحة عن مشكلات المجتمع واحساساته وقيمه وعاداته وتقاليده ، او هكذا يفترض فيه ان يكون . ومن ثم فان الدور الذي ينبغي ان يضطلع به في عملية البناء يعتبر هاما واساسيا شأنه شأن دور اي مؤسسة اجتماعية أخرى.

واذا استعرضنا مراحل تطور المسرح الكويتي بخاصة والمسرح الخليجي بعامة ، ومدى قربه او بعده ، عن الوظيفة الاساسية المرسومة له، فسنجد ان المسرح الخليجي ما زال يتأرجح بين قيامه بدور الفكاهة غير الهادفة من ناحية ، وبين الفكاهة الهادفة او الاعمال التراجيدية من ناحية اخرى .

بل ان كثيرا من الشواهد تدلنا على ان المسرح الكويتي بالذات قد اتجه اتجاها تجاريا مغايرا تماما للاهداف المرجوة منه ، وهو في هذا الاتجاه قد لجأ احيانا الى استغلال مشكلات الناس وعواطفهم في تحقيق الربح السريع ، ليس الا .

واذا كنا نتلمس لواقعه هذا الاعذار من حيث حداثة وجوده وعدم توافر

بخبرات الفنية الكافيـــة ، فان هذا لاينبغي أن يدفعنا للانتظار ريثما يمر في مراحل التطور التي مر بها المسرح في البلدان العربية ، دون أن نتدخل تدخـــلا مباشرا في التخطيط لاعداد الكفـــاءات الفنية اللازمة ، المادية منها والبشرية ، ووضع الخطوط والملامح التي تحـــــدد مسيرته ودوره في تنمية المجتمع وتقدمه.

ان مشكلات التغير التي يعيشها المجتمع الخليجي ولا سيمـــــا مشكلات الشباب تحتاج من المجتمع الى توظيف كل الوسائل المتاحة لديه من اجل تخفيف حدتها والقضاء عليها. ودور المسرح في نظرنا لايقل اهمية عن دور الاذاعة والتليفزيون في هذا المجال ان لم يكن أكثر منهما فعالية من حيث التأثير على المشاهد ، هذا على الرغم من انخفاض انتشاره قياسا بمدى انتشارهما .

وعلى أية حال ، فان المسرح الكويتي والمسرح الخليجي استطاعا أن يمرا بأصعب مراحل تثبيت وجودهما ونعني بها مرحلة النشأة والانطلاق . كذلك فقد استطاعا أن يفرضا وجودهما كمؤسسات اجتماعية يعترف المجتمع بهما ويقـــر بدوريهما. وما عليهما الان الا أن يترسما الخط الصحيح في عملهمـــــا وان يتمثلا دورهما في البناء والمساهمة في النمـــو هدفا اساسيا يتحكم في مسيرتهما. وعلى المجتمع بمؤسساته الرسمية والاهلية ان يمد يد العون لهما في رسالتهما ويبعدهما عن غائلة الانزلاق في مغـــــريات الربح المادي السريـــع . وفي الكويت بخاصة نرى جهدا مخلصا تبذله الحكومة مـــن اجل اعداد المتخصصين في فنون المسرح وغيرهـــــا مثل الموسيقـــــي والفنون التشكيلية ، عن طريق انشاء المعاهـــد العلمية العالية والمتوسطـــــة وتشجيع القدرات والمواهب . وقد بدا انتاج هذه المعاهد واضحا من خلال مشاركة طلبتها في الاعمال المسرحية للفرق الاهلية التي تجري حاليا .

رابعـــــا : السينمـــا :

ليس من شك في أن السينما من الوسائل الاعلامية الهامة ، فهي تتمتع بقدرة طيبة على الانتشار، كما أن الذهاب الى السينما نفسه يعتبر عاملا له أثره في دعم تأثـــير هـــــذه الوسيلة على المشاهد، من حيث كونها وسيلة ترويحية من ناحية ، ووسيلة اعلامية من ناحية اخرى .

والمشاهـــــد في منطقـــة الخليج عامـــة ، أن صناعـــة السينما لم تحظ بالحد الادنى مـــــن الرعايـــة من قبل مجتمعات الخليج ، ومهما كانت أسباب ذلك ، فانه قد آن الاوان لكي نعطي هذه الصناعة القدر الكافي من العناية ، لا لانها تمثل وسيلة اعلامية وانما لكونها عنصرا ضروريا في اثراء البرامـــــــج التليفزيونية بصورة خاصة .

وبالنسبة للكويت كانت هناك بدايات طيبة في مجال انتاج الافلام التسجيلية والاخبارية والاستطلاعات وكذلك الافلام الطويلة ، غير ان هذه البدايات في سبيلها الى الدعم والتنمية عن طريق انشاء مبنى المجمع الذي سيشمل وحدة للسينما مجهزة تماما بكل امكانات العمل السينمائي . اما الكفاءات البشرية فنعتقد انها قادرة حاليا على الانتاج البسيط الذي يسد جانبا من احتياجات العمل التليفزيوني . ونحن متأكدون اذا ما استمر دعم صناعة السينما بهذا الاتجاه من اننا سنصل الى نتائج افضل .

ولعل مجمل ما اوضحته في دور الاعلام في برامج تنمية المجتمع الخليجي بعامة ، وقطاع الشباب بخاصة يمكن ان اوجزه في القول بأن على هذه المجتمعات أن تدرك تماما قيمة هذا الدور وفعاليته، وأن توجه اهتماما كافيا لتنمية كفاءة أجهزتها الاعلامية ماديا وبشريا . واعتقد ان هناك جهودا مشتركة بين دول الخليج في هذا الميدان تتمثل في البند الخاص بالاعلام الذي ورد في اتفاقية التعاون بين دولة الامارات والكويت والذي ينص على انشاء معهد للاعلام يغطي احتياجات المنطقة ، كما أن هناك اشارة لامكانية استغلال المعهد العالي للفنون المسرحية، وكذلك معهد الدراسات الموسيقية التابعين لوزارة الاعلام بالكويت في اعداد الكفاءات البشرية لمنطقة الخليج .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا ان جامعة الكويت قد درست موضوع انشاء قسم للاعلام بها ، ونعتقد انه معروض الآن على مجلس الجامعة ، وفي سبيله للتنفيذ عندما تكتمل عناصر انشائه .